I- استهداف الكوادر الصحفية والإعلامية في العراق بين أعوام (٢٠٠٣ – ٢٠١٢)

الباحث : نبيل حميد نواف الدليمي
طالب دكتوراه في الجامعة البنانية
Nabil.nawaf79@gmail.com

ملخص:

تعد المدة التي اعقبت احداث التاسع من نيسان (أبريل) سنة ٢٠٠٣م، من الفترات المهمة في تأريخ العراق، ذلك ان اثار تلك الاحداث لم تستثن جزئية من نواحي الحياة الثقافية والسياسية والإعلامية ألا واثرت فيها بنواحي وصيغ مختلفة، ويعد الإعلام بوسائله كافة من اهم المؤسسات تأثراً بتلك الاحداث الخطيرة المتمثلةبتقييد حرية الصحافة،واستهداف الكوادر الصحفية والإعلامية، وقد وثق مرصد الحريات الصحفية الانتهاكات، والاعتداءات التي تعرض لها الصحفيون والإعلاميون بالإضافة لعمليات القتل والتضييق الرهيبة التي حدثتما بين(2003-2012)، تبين بأن هناك تخطيطاً يهدف إلى السيطرة على وسائل الإعلام وحركة الصحفيين وممارسة الضغط عليهم وترهيبهم بشتى الوسائل لمنعهم من مزاولة عملهم بحرية،ومنعهم من الوصول إلى أرض الحدث،ونقل الصورة كما هي بعيداً عن المؤثرات السياسية والدينية والمذهبية.

Abstract:

The period following the events of the ninth of April 2003, one of the important periods in the history of Iraq, that the effects of those events did not exclude a molecule of cultural, political and media life did not affect the different aspects and formulas, and the media by all means of the most important institutions affected by those dangerous events The Journalistic Freedoms Observatory documented violations, attacks on journalists and media, in addition to the terrible killings and harassment that took place between 2003 and Shows that there are plans to control the media and the movement of journalists and pressure them and intimidate them by various means to prevent them from practicing their work freely, and prevent them from reaching the land of the event, and transfer the picture as it is away from political, religious and sectarian influences.

أولاً- الصراعات الطائفية وأثرها في استهداف الكوادر الصحفية والإعلامية في العراق.

أ- الصراعات الطائفية:

يجري التركيز في وسائل الإعلام داخل العراق – وخارجه – على المجموعات الدينية والأثنية الكبرى الثلاث في العراق (العرب الشيعة، العرب السنة، والكرد)، والخريطة (٣) تبين ذلك.

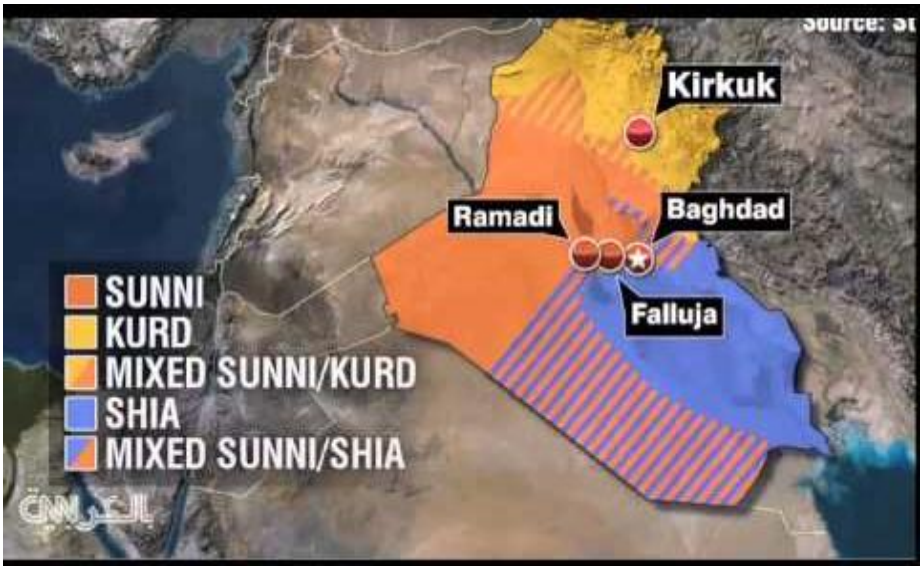

الخريطة (٣) تبين المجموعات الدينية والأثنية الكبرى الثلاث في العراق (العرب الشيعة، العرب السنة، والكرد)[١]

إن تعدد الطوائف وتنوعها في العراق، كانت تؤثر على وسائل الإعلام تأثيراً كبيراً ممثلاً بالأحزاب التي تتبع لها. يقول الدكتور ياس خضير البياتي: إن تنوع وسائل الإعلام وكثرتها، وهي ظاهرة صحية إذا كان هذا التنوع يهدف إلى بناء الإنسان العراقي الجديد، وتوعيته بوحدة العراق ومخاطر التقسيم، وتعميق الوحدة الوطنية، وإشاعة ثقافة الديمقراطية واحترام الرأي الآخر. إلا أنها تحولت إلى منابر إعلامية لتأجيج الصراع السياسي بين الأحزاب والطوائف والقوميات والأديان، وأداة دعاية تحريض لإشعال فتيل الحرب الطائفية وتكريس ثقافة المحاصصة والمصالح، وإثارة الغرائز

والدوافع النفسية من خلال نبش الماضي وانتقاء الأحداث بازدواجية المعايير، مما ساعد على ولادة تكتلات إعلامية طائفية وقومية وعرقية تتبنى الدفاع عن حقوق مواطنيها فقط، وتلغي الآخر تحت مبررات "التكفير" والتخوين" والإرهاب."

وإذا كانت تفجيرات الفتنة الطائفية لقتل الأبرياء في صورة السيارات المفخّخة تشكل جريمة في حق الشعب والوطن، فإن تفجيرات الفتنة الإعلامية التي تم تفخيخها داخل وسائل الإعلام العراقية، وبالذات الفضائيات هي الأخرى جريمة بشعة لا تقل عن جريمة قتل العراقي بدم بارد، لأنها تحاول إيقاظ الفتنة والتحريض من خلال خطاب إعلامي مؤجج ومبرمج لمصلحة الانتماء الطائفي والقومي والعرقي. فنحن نشهد اليوم ظهور صحف حزبية ودينية ذات ولاءات طائفية تشيع ثقافة الولاء للطائفة، وصحف مستقلة وحزبية لا هوية لها.والأخطر هو تسابق الأحزاب والطوائف والمذاهب على إنشاء إذاعات وفضائيات، معظمها يبشر بثقافة الطائفة ويلغي الآخر، تحت مبررات عديدة، مرة بتهميشها من قبل المذهب الآخر، ومرة بتكفيرها من الطائفة الأخرى.وبغض النظر عن الأحزاب والكتل، ومساراتها الطائفيّة والقوميّة والعرقيّة، وتركيبة الأحزاب السياسية وبرامجها، وتقليدية قادة الأحزاب والتكتلات والكيانات، وارتباطهم بثقافة الماضي، وولاءاتهم المختلفة والمتناقضة، وتجربتهم المتواضعة في ممارسة الديمقراطية رغم نزيف الجرح العراقي الذي مازال ينزف جراء تفجيرات الموت ونزيف الدم، وخنادق الطائفية البغيضة، وموت الحياة العراقية بسبب الفقر والبطالة والكساد الاقتصادي وانعدام الخدمات.

ويعقب الدكتور ياس خضير البياتي قائلاً: باختصار شديد، فإن على الشعبأن يستيقظ على حرائق سياسييه الذين يتألقون في إثارة النوازع البدائية للمواطنين، ويستغلون طيبتهم وفقرهم وحاجاتهم الإنسانية، وأن ينتبه إلى خطابات إعلامهم الطائفي، وأن يبرهن أنه أرقى من سياسييه وعياً وتجربة وممارسة، لأن إطلاق فكرة المواطنة باعتبارها جوهر الوطنية، هو مقياس الانتماء،

---

[١] **http://www.iraqmaps.net**

بحيث يصبح العراقيون، عرباً وأكراداً، سنة وشيعة، مسلمين ومسيحيين، متساوين أمام القانون في الحقوق والواجبات ضمن إطار دولة العراق، فهي الضمانة الحقيقية للتوافق، وركيزة أساسية لبناء الديمقراطية والمجتمع المدني.لأن الأوطان لا تبنى على توحش طائفة على طائفة، أو عرق على عرق، وإنما تبنى على مفهوم التوافق الوطني على قضايا الشعب والوطن.[٢]

ففي حين تأخذ الأقليات العراقية المختلفة حيزا من التناول الإعلامي يكاد يكون معدوماً: يتكون سكان العراق من مجموعات تركيبية أثنية ودينية، يبينها الجدول (٦) التالي:

جدول (٦) يبين تكوينات سكان العراق المقدرة عام ٢٠٠٠ [٣]

عدد السكان	٢٤ مليون نسمة
سكان المدن	٧٥٪
سكان الريف	٢٥٪

التركيب الاثني	
العرب	٧٧.١٪
الأكراد	١٩٪
التركمان	١.٤٪
آشوريون	٠.٨٪
فرس	٠.٨٪
التركيب الديني	
المسلمون	٩٥.٨٪
(شيعة)	٤٢.٣٪(العرب والأكراد والفرس والتركمان)
(سنة)	٥٣.٥٪ (العرب والأكراد والتركمان)
المسيحيون	٣.٥٪
الأديان الأخرى	٠.٧٪

وفي هذا تقول مادلين أولبرايت: لقد أدى العنف الطائفي بالفعل إلى سقوط عدد هائل من المدنيين، وإلى واحد من أكبر النزوحات السكانية في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، فقد هجر أكثر من مليوني عراقي منازلهم بحثاً عن أحياء أكثر أمناً، وفروا عبر الحدود إلى سوريا والأردن وإيران. وكلف هذا الخروج العراق نواة من العاملين المهرة الذين يحتاج البلد إلى مواهبهم. كما أن نزوح السكان يميل إلى إطالة القتال بدلاً من تبريد النزاع، إذ ينتظم النازحون لاسترجاع بيوتهم. وما لم تمارس رقابة شديدة على

---

[٢] ياس خضير البياتي، **مقال على جريدة العرب**، مصدر سابق.

[٣] مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، **الدين والأثنية والتوجهات الأيديولوجية في العراق:** من الصراع إلى التكامل، ٨٤ سلسلة محاضرات الإمارات، ، دولة الإمارات العربية المتحدة–أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٢٧، الترقيم الدولي:–ISSN 1682–122X ISBN 9948–00 587–2

مناطق اللاجئين، يمكن أن تتحول إلى قواعد للميليشيات ومعسكرات للتلقين، حيث تحث المنافي المريرة الجيلَ التالي على خوض معارك خسرها الجيل السابق. [٤]

وتعقب مادلين أولبرايت: قد يكون السبيل الوحيد للمحافظة على اجتماع العراق هو السماح بانقسامه. لا بشكل رسمي أو كامل، بل بقدر كافٍ: يتيح إنشاء حيز للعيش للشيعة في الجنوب، وللأكراد في الشمال، وللسنة في ما بينهما. يجب أن يحدث ذلك نتيجة لسياسة معلنة، لأن العراقيين قطعوا شوطاً نحو التقسيم. ويجب أن يكون هدفك (بالتشارك مع من يرغب من القادة العراقيين) تثبيت استقرار العملية، بحيث تتم سلماً ودون القضاء تماماً على مفهوم العراق الوطني منعاً لمزيد من الانقسامات والفتن علماً أن التصريح قديم. ولا تنجح الديمقراطية ما لم تحترم الغالبية المنتخبة خصومها لتعهد إليهم بحقوقهم، مع التمثيل السياسي المنصف، ودور في توفير الأمن [٥].

وتأسيساً على ما تقدم يتضح أن مادلين أولبرايت ترغب في أن يكون العراق مقسماً (وهو السبيل الوحيد للمحافظة على اجتماع العراق) – بزعمها – وهذا يبدو وفقاً للخريطة (٤):[٦]

ال

خريطة (٤) تمثل وجهة نظر مادلين أولبرايت السبيل الوحيد للمحافظة على اجتماع العراقهو السماح بانقسامه، الشيعة في الجنوب، والأكراد في الشمال، والسنة فيما بينهما). ولا ندري فيما إذا كانت هذه السياسة التقسيمية ما تزال ألمانيا متمسكة بها.

ثانياً– الصراعات الحزبية وأثرها في استهداف الكوادر الصحفية والإعلامية في العراق.

بعد غزو العراق واحتلاله من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا (٢٠٠٣) وأتت مع الاحتلال أحزاب سياسية تشكلت خارج البلد تحمل أجندات مختلفة، لا يخلو معظمها من الارتباط بأجندات دول أجنبية تريد تحقيق مصالحها في العراق بعد سقوط نظام الدولة فيه، وأصدرت هذه الاحزاب وبعض التيارات الدينية صحفا ومجلات وأنشأت إذاعات عدة،وراحت تؤسس لقنوات فضائية تعبر عن سياستها وفكرها السياسي وانتمائها الديني والطائفي، وبعد الاحتلال ظهرت (صحافة الأحزاب)، المغيبة عنه منذ سقوط النظام الملكي عام ١٩٥٨،

---

[٤] مادلين أولبرايت، **مذكرة إلى الرئيس المُنتَخَب –كيف يمكننا استعادة سمعة أميركا ودورها القيادي**–، مصدر سابق، ص١٩٨.

[٥] المصدر نفسه، ص١٩٩– ٢٠١.

[٦] موقع خرائط العراق على شبكة الإنترنت: تاريخ الدخول/٢٤/٥/٢٠١٤ http://www.iraqmaps.com

وقد تسببت في إنهاك قطاع الإعلام العراقي، نظراً إلى كثرة الأحزاب السياسية والإسلامية الموجودة في العراق، سواء المحلية أو الأجنبية الصنع والأجندة. كما ساهمت تلك المنابر الإعلامية (المتحزبة) في تعقيد العمل الإعلامي وتغيير مساراته، لابتعادها عن المضمون الإعلامي الجيد والمحايد، وانزوائها في خدمة مصالح وأهداف واستراتيجية الحزب الذي تنتمي إليه. بل اندفعت غالبية هذه المنابر الحزبية إلى سحب ذهنية المتلقي العراقي، لتجسيد الصراع الشخصي بين الشخصيات والجهات السياسية والإسلامية، التي تعبر عنها تلك الوسائل، في الوقت الذي ينبغي أن تكون فيه (صحافة الأحزاب) مؤشراً إيجابياً وحالة حضارية سليمة تعكس التعددية والتنوع في المجتمع العراقي وهذا لم يحدث"[٧].

استؤنفت الحياة الحزبية في العراق في إثر سقوط حكم البعث في نيسان (أبريل) ٢٠٠٣. وكان ظهور الأحزاب بمنزلة ردة فعل على حال الاختناق السياسي، الذي خلفته عقود من سيطرة الحزب الشمولي الواحد والحرمان المطلق من فرص العمل السياسي داخل العراق منذ فشل تجربة الجبهة الوطنية أواخر السبعينات، فضلاً عن الفراغ السياسي لأي شكل من أشكال السلطة وما ترتب عليه من فوضى انطلقت معها الإرادات الفردية والجمعية لتأسيس تكتلات سياسية. كما كان لأجواء الديمقراطية الجديدة والدعوة للانتخابات والامتيازات البرلمانية دافع قوي لرغبة الشخصيات في ممارسة اللعبة السياسية من خلال تكوين الأحزاب.

ومعظم الأحزاب التي أنشئت في مرحلة ما بعد سقوط النظام الشمولي وهيمنة الحزب الواحد هي أحزاب قديمة، حاولت أن تعيد صلاتها مع أعضائها القدامى وكسب تعاطف الجيل الجديد من عائلات أنصارها، مثل "الحزب الشيوعي العراقي"، و"حزب الدعوة"، و"الحزب الوطني الديمقراطي"، و"حزب الاستقلال" و"الحزب الاشتراكي" وبعضها أحزاب فئوية دفعها الشعور بالتهديد فتشكلت في كيانات سياسية صغيرة للمطالبة بحقوق الفئات الدينية والعرقية التي تمثلها، غير أن الأحزاب التي هيمنت على المشهد السياسي في هذه المرحلة هي أحزاب ما كان يسمى "المعارضة الجديدة": التي تأسس أهمها خارج العراق بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، والتي كانت جزءاً من مؤتمر لندن في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢ وما أعقبه من مؤتمرات كان أهمها مؤتمر صلاح الدين في كردستان في أذار(مارس) ٢٠٠٣، حيث انتخبت لجنة المؤتمر خمسة أحزاب هي: "حزب المؤتمر الوطني"، و"حركة الوفاق الوطني"، و"المجلس الأعلى للثورة الإسلامية"، والحزبين الكرديين و"الحزب الديمقراطي الكردستاني" ، وأصبحت تعرف فيما بعد بـ "الهيئة الخماسية" أو "مجموعة الخمسة"، وقد حاولت هذه الهيئة أن توسِّع قاعدتها بإضافة حزبين آخرين، هما "حزب الدعوة الإسلامية" و"الحزب الوطني الديمقراطي"، نظراً لما يتمتع به هذان الحزبان من تاريخ سياسي. وشكلت هذه الأحزاب السبعة الأركان الأساسية لمجلس الحكم الانتقالي في العراق، الذي شكّلته سلطة الائتلاف المؤقتة (CPA)، والذي يؤشر بداية العملية السياسية وقد اصطلح على هذه المجموعة اسم "أحزاب الخارج" على الرغم من عدم دقة التسمية.

ولم يكن "لأحزاب الداخل"، سواء القديمة منها أو الجديدة (التي تأسست بعد عام ٢٠٠٣)فرصة مهمة للعمل السياسي خارج نطاق المشاركة في العملية السياسية الرسمية. في حين كان لوجود بعض الأحزاب في مجلس الحكم فرصة لبسط نفوذها والسيطرة على مصادر الدعم المادية والمعنوية، وهو ما جعلها أحزاباً رئيسة. وقد اتهمت أحزاب (الداخل) أحزاب (الخارج) بالاستحواذ "على "كعكة السلطة" وعدم دعوتها لأحزاب الداخل للمشاركة في المفاوضات التي تعقد لتقرير مستقبل العراق[٨].

لقد أدركت القوى والتيارات الأخرى بعد أن انكشفت الأزمة السياسية في العراق، وظهرت عدم قدرة الانتخابات وإعلان الدستور على تحقيق الاستقرار السياسي – ولو نسبياً في العراق – وانخراط التحالفات الكبيرة للقوى المشتركة في العملية السياسية

---

[٧] دار بابل للدراسات والاعلام، **أُسُس للنهوض بواقع الإعلام العراقي**، بغداد، ٢٠١٣، ص١٠.

[٨]جميل، أسماء، وعبد الجبار، فالح، **الأحزاب السياسية في العراق ١**، مصدر سابق ، ص١٩-٢٠.

التي أدركت النتائج الخطيرة للتحالفات التي قامت على أساس طائفي وعرقي ودورها في تعميق الانقسام الاجتماعي. وعلى خلفية هذه الظروف: نشطت بعض التنظيمات السياسية لإعادة بناء وتشكيل تحالفات سياسية جديدة ومنها حلف ما يسمى بـ"المعتدلين" في المنطقة التي دعت إليها الإدارة الأميركية باقتراح من السفير الأميركي السابق زلماي خليل زاد والقائم بين الحزب الإسلامي والتحالف الكردستاني (الأحزاب الكردية الكبرى) والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وذلك من أجل عزل التيار الصدري (وهو أكبر الكتل المنضوية تحت الائتلاف العراقي الموحد) عن العملية السياسية.

وخارج العملية السياسية الرسمية، نشطت تحالفات جديدة بين الأحزاب والتنظيمات السياسية للضغط أو لتشكيل جبهة عمل مشتركة إزاء الأوضاع التي يشهدها العراق، كان منها "تجمع حقوق وجبهة الإنقاذ الوطني" الذي يجمع ما بين (٣٠) تكتلاً سياسياً (بعضها داخل العملية السياسية والبعض الآخر من خارجها) لم يعلن عنها في مؤتمر تأسيسي حتى الآن وذلك بسبب الفشل في إيجاد دعم من إحدى الدول المجاورة للعراق لاحتضان هذا المؤتمر؛ و"تحالف التيارات القومية" المؤلف من (٢٠) حزباً قومياً اجتمعوا في سوريا لعقد مؤتمرهم، إلا أن هذه التحالفات لم يكتب لها النجاح – بسبب الصراعات الداخلية على المناصب وتوزيعها – كما حدث في الائتلاف العراقي الموحد والصراعات التي يشهدها، والتي انسحب على أثرها حزب الفضيلة من هذا الائتلاف.

كما أن التحالفات التي شهدتها الأحزاب الكبرى (مثل تحالف الأحزاب الكردية مع الأحزاب الإسلامية الشيعية) هي تحالفات تكتيكية وليست استراتيجية، وهي تحالفات فوقية بين القيادات، وليس لها امتداداتها القاعدية، فضلاً عن التغيرات المستمرة في خارطة التحالفات. الأمر الذي أصبح معه حلفاء اليوم أعداء الأمس وبالعكس: كما حدث حال تحالف التيار الصدري (الشيعي) مع السنة وهيئة علماء المسلمين (حركة سنية)، ثم تحول إلى الحرب عليهم بعد أن تحالف مع الائتلاف العراقي الموحد ودخول السنة العملية السياسية"[٩].ويبدو أن الصراعات الحزبية قد فاقت التوقعات: فكل حزب يريد أن يهيمن على السلطة لا سيما الوزارات ويريد أن يمثله نواب في البرلمان ليكون لديه كتلة كبيرة: يستطيع عن طريقها الوصول إلى ما يرمي إليه من مصالح خاصة. "وما زاد من صعوبة مواجهة هذين التحديين أن هذه الأحزاب هي في معظمها صغيرة ومشتتة، وغير قادرة على إقامة تحالفات فيما بينها أو تنسيق جهودها إزاء الأحداث المتسارعة بسبب الصراعات والتناحر بين الأطراف التي تشكل هذا التيار. فعندما اجتمعت هذه القوى في كردستان قبل الانتخابات الثانية بهدف الاتفاق على تأجيلها (وهذا مثال واحد على غياب القدرة على التنسيق): تراجعت معظم الكتل عن اتفاقها مما جعل القوى التي أصرت على التأجيل معزولة وفي موقف ضعيف. والأمر الجدير بالملاحظة هو أنه لم يعد هناك حدود وحواجز واضحة بين الأحزاب الوسطية: إذ لم تعد الخلافات بينها أيديولوجية بقدر ما هي صراع على الزعامة. والمشكلة الرئيسية التي تعاني منها الأحزاب الوسطية في المرحلة الحالية من التاريخ السياسي للعراق، هي أنها غير مصنفة على أساس الهويات (دينية أو عرقية) مما أدى إلى انحسار دور الأحزاب العلمانية والليبرالية. ذلك أن طبيعة المرحلة – ومناخ الاستقطاب الطائفي والإثني–قد هيأت له الأحزاب الممثلة للمذاهب والقوميات، وقد حتمت على أي حزب لكي يكون فاعلاً ومؤثراً في التشكيل الجمعي للرأي العام (وبالتالي لديه الفرصة في الوصول إلى مراكز صنع القرار) أن يتخذ له هوية طائفية. وتمثل جبهة الحوار الوطني التي يترأسها صالح المطلق نموذجاً للتنظيم السياسي الذي تحول من حزب ليبرالي – ممثل لكل القوميات والمذاهب – إلى حزب ذي هوية طائفية. إذ لم يتعامل الناخب في العراق مع هذا الحزب إلا بوصفه

---

[٩] جميل، إسماء، وعبد الجبار، فالح، **الأحزاب السياسية في العراق ١**، معهد للدراسات الاستراتيجية، دار بايل للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١١، ص١٨.

"حزباً سنياً" ونسبة الأصوات التي حصل عليها في الانتخابات الثانية جاءت معظمها من المحافظات السنية. وهكذا تجري عملية التصنيف للأحزاب والتنظيمات"[١٠].

ولا يخفى للقارئ والمتطلع للصراعات الحزبية،أنه قد اضحى صدى صراعها واضحاً في مختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة التي تتبع لهذه الاحزاب والتكتلات الحزبية، من خلال الاتهامات المتبادلة فيما بينها ، مما اصبح خطراً يهدد العاملين في العمل الصحفي، والإعلامي من خلال التصفية الجسدية من قبل الجماعات المسلحة التي تتبع لتلك الأحزاب المتنفذة .

لقد تميز المشهد الحزبي بعد عام ٢٠٠٣ بالسرعة في التطور. فالتشكيلات التي ظهرت كانت تعبيراً مباشراً عن محاولة الاشتراك في السلطة، ولم يكن لمعظم الأحزاب الجديدة برنامجاً سياسياً أو قاعدة جماهيرية أو إطاراً تنظيمياً ولجاناً سياسية؛ بل إن بعض الأحزاب لم تكن تملك مقراً لها واتخذت من غرف الفنادق عنواناً تشير فيه إلى "مكاتبها". وعلى خلفية هذه التحولات ظهرت شريحة مهنية من المتعهدين والشعراء وعمال المطابع واقتصرت وظيفتهم على إقامة التظاهرات المؤيدة لحزب ما، وطبع الشعارات المعبرة عن أهدافه إضافة إلى بعض المثقفين والمحامين الذين امتهنوا كتابة الأنظمة الداخلية والبرامج السياسية للأحزاب لكسب رزقهم.

أما بعض الأحزاب القديمة فلم تقدم ما يوحي بأنها تعمل على تجديد نفسها وتقويم تجربتها وظلت تعاني من الانقسامات والتشتت، ولم تستطع أن تتواصل مع قواعدها الجماهيرية السابقة، ولا سيما أن أغلبها يعبر عن طبقات سياسية قديمة لم تعد موجودة، كما هو الحال بالنسبة إلى الحزب الوطني الديمقراطي (حزب الطبقة البرجوازية) وحزب الأمة (سعد صالح جبر) والأحزاب الناصرية والقومية، وحزب الاستقلال، وهي من أحزاب خمسينات القرن العشرين[١١]. ويصح هذا القول على الأحزاب الدينية التاريخية ذات القاعدة الجماهيرية، مثل: حزب الدعوة الذي بقّي يراهن على أنصاره القدامى وقد انصرفت قطاعات معينة عنه: إما بترك العمل الحزبي وإما بتحويل انتمائهم إلى أحزاب أخرى مثل "المجلس الأعلى للثورة الإسلامية" أو "حركة الصدر" بما يمتلكه الاثنان من مرجعية وقيادة رجال دين يجيدون استخدام "الشفرة التاريخية" في كسب تأييد الجماهير.

في حين كانت أغلب قيادات الأحزاب التي تأسست خارج العراق غير معروفة، الأمر الذي أصبح من الصعب معه أن تجمع لها قاعدة جماهيرية إلا من خلال شفرات الاتصال التاريخية المُعبّر عنها بالرموز الدينية التي أصبحت صورة عن هوية هذه الجماعة، كما حدث بالنسبة إلى الأحزاب الإسلامية الشيعية العائدة من المنفى.وباستثناء تأثير الأحزاب الإسلامية، فقد غاب الفعل السياسي المؤثر في التكوين الجمعي للرأي العام العراقي، ولوحظ تهميش نسبي للأحزاب الأيديولوجية – التاريخية. أما الأحزاب الصغيرة فقد بدت بمنزلة تجمعات مكتبية لا يزيد عدد أعضائها على أعداد موظفي مكاتبها. ولم تنشأ أحزاب جديدة بالمفهوم الحديث تعتمد على مبدأ التخصص الوظيفي والانتماء الطوعي والمصالح المشتركة[١٢].

في مقابلة شخصية أجريتها مع الأستاذ الدكتور **إبراهيم خليل إبراهيم العلاف** قد وجهت لهُ سؤالاً وكان السؤال: كيف كانت الصراعات الحزبية بعد الاحتلال؟ الصراعات الحزبية بعد الاحتلالصراعات تغلب عليها النزعة الطائفية والمصلحية، ولم يكن للوطن وللوطنية نصيب. الكل يريد أن يحصل على مواقع تنمي ثروته وثروة حزبه وتقوي سيطرته على الشارع[١٣].

---

[١٠] المصدر نفسه ، ص١٩-٢٠.

[١١] المصدر نفسه ، ص٢١.

[١٢] جميل، أسماء، وعبد الجبار، فالح،**الأحزاب السياسية في العراق ١**، مصدر سابق ، ص٢٢.

[١٣] **مقابلة أجريت بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٥, أ. د إبراهيم خليل العلاف**، أستاذ متمرس بالتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الموصل

كما وجهتُ سؤالاً إلى الأستاذ الدكتور **سلام زكم الزوبعي** فكانت إجابته: إن سياسة الحزب الواحد التي حكمت العراق لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن وإزاحة كل جهة سياسية معارضة كان السبب وراء نمو معارضة كبيرة للنظام – ذات مشارب مختلفة – ابرزها المعارضة السياسية للأحزاب ذات الصبغة الدينية. وباعتبار العراق غالبيته إسلامية فالأحزاب المعارضة الإسلامية كانت الأبرز في التصدر لمجاميع المعارضة في العراق. ومع مرور الوقت كبرت ونمت هذه المعارضة. وبسبب سطوة النظام وقسوته مع معارضيه، لذا نجد أن اغلب الاحزاب المعارضة إن لم نقل كلها نمت وترعرعت في الخارج بعيداً عن مراقبة ومتابعة الأجهزة الرسمية والأمنية، لكن بالرغم من سطوة النظام فإن داخل العراق لم يخلُ قط من الخلايا النائمة للأحزاب المعارضة.

لذا فإنَّ احتلال العراق وسقوط النظام كان البداية الحقيقية لدخول الاحزاب المعارضة، كما ان الفوضى التي سببها الاحتلال في العراق وغياب سلطة الدولة وفوضى التنافس على الحكم وتباين الولاءات ودرجات التنسيق مع القوى – التي ساهمت في إسقاط النظام – والتدخل السافر لدول الجوار في الشأن العراقي – وأطماعها وأجنداتها المختلفة كان دافعاً كبيراً وراء تعدد الأحزاب. كما أن مكتسبات الحكم التي شهدت أنواعاً مختلفة من المكاسب خصوصاً مع خزين مهم من الثروات وفي مقدمته مخزون العراق النفطي الذي كان من اول الاسباب التي فتحت الشهية للأطراف المختلفة لاحتلال العراق وتحقيق موطيء قدم فيه، لذا وجدنا أن الصراع وليس التنافس المشروع كان الصفة السائدة بين الأحزاب التي تصدرت المشهد السياسي. كما أن للفساد الذي رافق جميع مرافق الدول والمجتمع (ونمو ثروات لكيانات حزبية وشخصيات سياسية بشكل مخيف) صفة الصراع وهو أمر مخجل ومحزن، وسبب رئيس في عدم استقرار العراق لأكثر من عقد من الزمن، ولقد شهدت وسائل الإعلام مشاهد واضحة وراسخة عن ذلك، مما ساهم في ترسيخ ذلك الصراع[١٤].

ثالثاً– الصراعات الداخلية وأثرها في استهداف الكوادر الصحفية والإعلامية في العراق.

بعد احتلال العراق وسقوط نظام الدولة في ٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣، تدهورت الاوضاع الداخلية للعراق وقد شهدت فوضى عارمة تمثلت بالنهب والسلب والقتل اجتاحت مرافق الحياة ومؤسسات الدولة كافة، وتوزع الناس في الداخل بين مصدوم بواقع جديد لم يألفوه ولم يضعوه في حساباتهم ، وبين متردد في التعامل مع هذا الواقع، وفريق ثالث استبشر بالاحتلال وسقوط النظام وغياب السلطة، وفريق رابع حزم أمره على مقارعة الاحتلال ومقاومة مشروعه.

استناداً إلى هذا الواقع، فقدأثرت الصراعات الداخلية على وسائل الإعلام والإعلاميين، فقد تأثر الإعلامي بالأخبار وتناقلها ومدى دقتها، وقد كان كثير من السياسيين يصدر تصريحاً شخصياً يتناقلها الإعلام على أنه تصريح رسمي (من الكتل السياسية أو الحكومة) مما أثر في مصداقية الأخبار، التي بدورها زعزعت الثقة بين الحكومة والكتل السياسية من جهة وبين الكتل السياسية والشعب من جهة ثانية وبين الحكومة والشعب من جهة ثالثة. وكان الإعلام يحاول الحصول على مصادر دقيقة لتناقل الخبر ونشره بين الناس، سواء أكان محلياً أو عالمياً، وهذا ما جعل كثرة التصريحات غيرالمسؤولة وتضارب الأخبار (بين الدقة وعدمها) مؤثراً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى الأصعدة كافة، ومما ساعد على التذبذبات والتجاذبات السياسية والعرقية

---

[١٤] **مقابلة أجريت بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٥، مع أ. د سلام زكم الزوبعي** عضو برلماني ونائب رئيس الوزراء سابقاً في الحكومة العراقية.

والطائفية – التي سنرى في حينها أنها صعدت من عمليات التهديد والقتل والسلب والنهب – وتدخل أطراف من هنا وهناك تحاول زعزعة الأمنوالاستقرار الداخلي للعراق.

يمتاز العراقبتنوع الفئات الاجتماعية منذ حقب تاريخية موغلة في القدم وأجيال متعاقبة، وأنتج هذا التنوع في إطاره الجغرافي المكاني تداخلاً بين فئاته، كما أنتج في إطاره التاريخي والاجتماعي والتفاعلي تبايناً في نوع العلاقات. وان علاقات فئات التنوع غير صراعية في دوافعها الاجتماعية، استناداً الى فرضيتنا القائلة: إن الصراع بين فئات التنوع لا ينتج عن تعصب أساسه العرق او الدين او الطائفة، ولكن هناك نزعات من طبيعة أخرى تؤثر أحياناً في بنية المجتمع العراقي[١٥].

وعند دراسة تاريخ العراق، وحقبه المختلفة، تتضح للدارس مسألة مهمة قد تبدو وكأنها لازمة أساسية وهي: ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والعنف. لقد تتبع الباحث هذه الظاهرة وسجلها باقر ياسين في كتاب بعنوان: "تاريخ العنف الدموي في العراق"[١٦]. ومع ان تاريخ الشعوب مليء بالتقلبات السياسية والثورية والدموية، مما يعطي الظاهرة بعداً شمولياً إنسانياً ملازماً لحركة التطور وطبيعة التعارضات الكامنة، التي تبرز عند الحافات الحرجة ونقاط الانتقال، غير أن للعراق خصوصية وتميزاً في هذا الجانب، وربما عللت العديد من التعليقات هذه الظاهرة وربطتها بظاهرة التنوع الاجتماعي في العراق، واعطته وصفاً بأنه فسيفسائي غير متجانس [١٧].

ونتيجة لذلك يوجد تمايز بين الشيعة والسنة في المواقف السياسية وفي بعض أصول الاعتقاد وأصول الفقه وتفريعاتها، وكذلك في بعض الشعائر الشكلية، فهي أمور قد تعطي "مدلولات صراعية" إذا تم توظيفها "سياسياً" في لحظات معينة، وقد تنجح في تحريك الاستقطابات الطائفية[١٨]. لكن الأصل أن تتداخل وتتعايش الفئات العرقية والمذهبية والدينية في بعض المحافظات، بالشكل الذي يصح عدها نماذج مصغرة للتنوع العراقي مثل الموصل وكركوك [١٩]، ففي دراسته الرصينة "العراق الشمالي" يذكر الدكتور شاكر خصباك هذه الحقيقة في معرض حديثه عن الموصل بقوله: " يمكن القول إن محافظة نينوى تمثل أشد المحافظات الشمالية تعقيداً من الناحيتين (الدينية والعرقية)، وهي في الحقيقة أشبه بمتحف (للتنوع)، ففي هذه المحافظة يعيش جنباً الى جنب

---

[١٥] البكري، ياسين، **علم اجتماع اتجاهات التجانس في علاقات التنوع في المجتمع العراقي**، مقطع من دراسة موسعة بعنوان: (بنية المجتمع العراقي، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية لظاهرة التنوع، العهد الجمهوري الاول ١٩٥٨–١٩٦٣ أنموذجاً). وهي بالأصل رسالة جامعية نال بها الطالب درجة الدكتوراه، بغداد، ٢٠٠٦، ص٤٥.

[١٦] ياسين، باقر، **تاريخ العنف الدموي في العراق**، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٩. وهو كتاب يقع في (٤٣٥) صفحة، ومقسم على عشرة فصول، تناول فيها الكاتب ظاهرة العنف الدموي في العراق لخمسة آلاف سنة.

[١٧] في دراسة لمجموعة من المفكرين العرب حول النزاعات الاهلية العربية وعواملها الداخلية والخارجية، وصف الدكتور عبد الاله بلقزيز المجتمع العربي بأنه مجتمع عصبوي عسير الاندماج متعدد، وهو احد اسباب النزاعات الأهلية، ولكنه مع ذلك لم يعد النزاع الاهلي مخرجاً لازماً للتنوع، إلا إذا كان مشروطاً بتوظيف سياسي له. للمزيد من التفاصيل وخصوصاً عن العراق، انظر: الأنصاري، محمد جابر وآخرون، **التنوع الاجتماعي في العراق**، دار المأمون، ط٢، بغداد، ٢٠٠٧م ، ص٥٠– ١١٤، ١١٩.

[١٨] البكري، ياسين ،**علم اجتماع اتجاهات التجانس في علاقات التنوع في المجتمع العراقي**، مقطع من دراسة موسعة بعنوان: (بنية المجتمع العراقي، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية لظاهرة التنوع، العهد الجمهوري الاول ١٩٥٨–١٩٦٣ انموذجا). وهي بالأصل رسالة جامعية نال بها الطالب درجة الدكتوراه، بغداد، ٢٠٠٦م.

[١٩] هناك محافظات عراقية اخرى تصلح ان تضاف كنماذج للتنوع، مثل بغداد، وديالى وبدرجة اقل واسط والبصرة، إلا ان ميزة الموصل وكركوك انهما اكثر تعبيراً عن التنوع، فضلاً عن انهما شهدتا حالات صراع وعنف نسبت احياناً الى عامل التنوع.

جميع المجموعات (الفئات العرقية) ...المجموعة العربية، المجموعة الكردية، والمجموعة السريانية، والمجموعة التركمانية. وفي كثير من المواضع تتداخل هذه المجموعات.. تداخلاً شديداً فيبدو من الصعب تحديد مناطق خاصة بها. كذلك تتباين الأديان والعقائد لدى هذه المجموعات تبايناً كبيراً، فهناك الديانة الاسلامية وهي السائدة، وهناك الديانة المسيحية بمذاهبها المتعددة ..وأيضاً الديانة اليزيدية" [٢٠].

أما كركوك فتسكنها وتتعايش فيها الفئة الكردية الى جوار الفئة التركمانية والفئة العربية. ويلاحظ أن عشيرة (البيات) القاطنة في كركوك هي عشيرة مختلطة عربية وتركمانية [٢١], ويتكلم أهلها التركية والكردية والعربية، ولا يقف التنوع في عشيرة البيات عند هذا الحد، فبعضهم شيعي، والبعض الآخر سني [٢٢]. إنه أمر يتعدى توصيف التعايش، ويدخل في مجال التصاهر والاندماج، والملاحظ ان لغة التخاطب في كركوك هي اللغة التركية ليس بين التركمان فحسب، بل بين الكرد والعرب أيضاً [٢٣]. لقد سجل العديد من الرحالة الأجانب مشاهداتهم عن علاقات التجانس بين الفئات العرقية في كركوك، ومنها ما أورده الصحفي الهولندي ما ليبارد الذي زار العراق في خمسينيات القرن العشرين بقوله: "ويعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب [كركوك] العرب والكرد بسلام ووئام متجاورين" [٢٤].

والشيء نفسه ينطبق على العلاقة بين الكرد والتركمان، وعن ذلك يقول د. **كمال مظهر احمد:** "من الضروري أن نشير الى أن أفضل العلاقات كانت تربط ما بين الكرد والتركمان سواء في كركوك وتوابعها، أو في المناطق الاخرى" [٢٥]، وذلك في دلالة على البعد التاريخي للعلاقة الاجتماعية بين الفئات العراقية، ومع ذلك فهو يذكر الآتي: " لكن شرخاً ما بدأ يعتري تلك العلاقات – بحكم عوامل مصطنعة – يتحمل الجميع بدرجات متفاوتة وزر خلقها واثارتها بصورة، أو بأخرى، يأتي البريطانيون في مقدمتهم بالتسلسل الزمني في سياق التأريخ المعاصر" [٢٦]وعندما تم احتلال العراق يقول رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج دبليو بوش[٢٧]: "سنساعدكم في بناء عراق جديد مزدهر وحر "ولكي نعرف حجم هذه المساعدة يتبيّن لنا تدمير كل شيء في العراق (البنى التحتية، الأخلاق، العلاقات الاجتماعية، مكونات الشعب)!.

فقد أدى غزو العراق في أذار(مارس) ٢٠٠٣ إلى وقوع كثير من الإصابات بين المدنيين، بما في ذلك الهجمات الواسعة على مدن مثل الفلوجة والنجف وتلعفر، التي سببت الكثير من الوفيات البشعة، ونزوحاً ضخماً للسكان طال مئات الآلاف من العراقيين[٢٨].

---

[٢٠] خصباك، شاكر، **العراق الشمالي**، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٩٤٩، ص١٤١-١٤٣.

[٢١] **المصدر نفسه**، ص١٩١.

[٢٢] أحمد، كمال مظهر، **تاريخ التركمان –العلاقات الاجتماعية بين الفئات العراقية–**، منشورات الدار التركمانية، كركوك، ط٢، ٢٠٠٦، ص٧٧.

[٢٣] أحمد، كمال مظهر، **تاريخ التركمان –العلاقات الاجتماعية بين الفئات العراقية–**، مصدر سابق، ص٩١.

[٢٤] ماليبارد، نواغير **الفرات او بين العرب والكرد**، ترجمة حسين كبة، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٧، ص٢٠٩.

[٢٥] أحمد، كمال مظهر، **مصدر سابق** ، ص٩٣.

[٢٦] **المصدر نفسه**، ص٩٤.

[٢٧] White house. " Remarks by the President in Address to the Nation The Cross Hall." (17 March 2003).

[٢٨] جيمس بول وسيلين ناحوري:**الحرب والاحتلال في العراق –تقرير للمنظمات غير الحكومية–**، مركز دراسات الوحدة العربية، اللجنة العربية لحقوق الإنسان، الطبعة الأولى، بيروت، أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧، ص ٢٠٣

ويظهر مما سبق أنه لم تكن هناك صراعات عرقية (قومية) في العراق قبل غزوه واحتلاله، وبعد الغزو والاحتلال الأنجلو–أمريكي العالمي للعراق في عام ٢٠٠٣ (وبالتحديد بعد ٩نيسان/ أبريل ٢٠٠٣) بدأت الصراعات تظهر وبشكل تدريجي–للسيطرة على المناطق التي يعدها البعض مناطق صراع– وكأنما خلقت هذه المناطق لهم دون سواهم.

وتأجج الصراع في محاولة السيطرة على بعض المناطق والمحافظات من أجل المصالح، سواء أكانت تلك المصالح الثروات النفطية ومشتقاتها أم الثروات الأخرى كما يفهمها البعض، وهي المحافظة على المناطق التي يعيش فيها الناس من قوميات بعينها، فالعرب يريدون السيطرة على المناطق التي يسكنها العرب، والأكراد يحاولون السيطرة على المناطق التي يسكن أكثرها الأكراد، والتركمان يحاولون السيطرة على المناطق التي يسكن أكثرها التركمان... وهكذا بدأت هذه المشكلة تتفاقم من مكان لآخر تحت حجج وصراعات قومية واهمة أتتبها الاحتلال وأعوانه، الذين حولوا العراق إلى ساحات تصفية. ولكي تكون المعادلة متوازنة لا بد من أن يكون هنا كتفاهمات وأواصر بين مكونات الشعب، ويعتقد البعض أن السياسي ينقد خلقوا هذه المشكلات عن طريق تصريحاتهم والسجالات والمهاترات الكلامية – التي لا طائل منها سوى الخراب والتصفيات العرقية (القومية) –ناهيك عن دور أمريكا والاحتلال ومخلفاته من العملاء والمخربين وإيران وتوابعهم جميعاً ممن يريد عدم استقرار العراق.

فقد سبب العنف والفقر انتقالاً لا سابق له للسكان في العراق[٢٩]. في نيسان (أبريل) ٢٠٠٤ انتقل أكثر من (أربعة ملايين) عراقي من مناطقهم – أي (١٤٪) من مجموع عدد السكان –: (١.٩) مليون عراقي داخل العراق، ولجأ أكثر من (٢.٢) مليون إلى دول أخرى[٣٠]. وتحدثت مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين عن " تزايد القلق بشأن الأوضاع الإنسانية المتدهورة بوتيرة متسارعة "[٣١] . وتتوقع هذه الهيئة ازدياد نسبة النازحين بسب استمرار تصاعد العنف والصراع الطائفي[٣٢]. كما توجد أعداد كبيرة من السكان بحاجة ماسة إلى المساعدة والغذاء والمأوى.

فمنذ عام٢٠٠٣، تسببت عمليات قوات التحالف العسكرية في نزوح أعداد ضخمة من العراقيين، خصوصاً بفعل الهجمات الجوية والبرية على المدن. وقد أدت الهجمات على الفلوجة في عام ٢٠٠٤ إلى نزوح أكثر من (مائتي ألف) شخص[٣٣]، ونتج عن الهجمات على المدن الأخرى نزوح مئات الآلاف من الناس أيضاً. ولم يستطع العديد من العائلات العودة بسبب غياب الأمان، والتهديد العسكري المستمر، ونقص المياه والكهرباء والخدمات الصحية على اختلافها. إضافة إلى أن بيوت الكثيرين وأماكن عملهم أضحتْ مهدمة.[٣٤] وبحسب تقديرات مشروع الفلوجة لإعادة الإعمار، لا يزال هناك حوالي (خمسة وستون ألف) نازح من أهل المدينة منذ بداية عام ٢٠٠٦[٣٥].

---

[٢٩] UNAmistance Mission for Iraq " Human Rights Report. " (September – October 2006). P. 3

[٣٠] UNHCR, " Statistics on Displaced Iraqis around the World " (April 2007)

[٣١] UNHCR," Press Briefing by UNHCR Spokesperson Ron Redmond."(13 October 2006)

[٣٢] UNHCR, " Iraq A Humanitarian Crises that will Go for Year." (2 February 2007)

[٣٣] United Nations, " Emergency Working Group – Falluja Crises." "Update Nation " (13 November 2004)

[٣٤] Internal Displacement Monitoring Center / Norwegian Refugee Council." Iraq Sectarian. Violence Military Operations Spark New Displacement, as Humanitarian Access Deteriorates." (23 May 2006)

[٣٥] "Iraq Fallujah Sectarian Improving Story" UN Integrated Regional Information Networks (21 March 2006)

وتصاعدت حالة البطالة والفقر بحدة، نتيجة تدهور وانهيار الدولة أيضاً. ومع بداية عام ٢٠٠٦، زادت حدة الصدامات المذهبية، وأدى العنف المتبادل بين الطوائف إلى ارتفاع نسبة الإصابات والوفيات. إضافة إلى النزوح الجديد المكثف للمواطنين. ولم تستطع مؤسسات الإغاثة الدولية مواكبة الأزمة الإنسانية المتصاعدة، وانسحب الكثير من المنظمات غير الحكومية، وبدا أن العديد من الحكومات التي تساهم بالتمويل تنحّت جانباً. وواجهت هيئات الإغاثة الدولية نفسها مشكلات جدية في التغلب على الضغوط السياسية للوصول إلى العراقيين الذين تحدق بهم المخاطر، وجمع الأموال للحالة الطارئة التي تزداد سوءاً [٣٦].

ومنذ بداية ٢٠٠٦، وبينما كانت العمليات العسكرية المستمرة تدفع الناس إلى هجر مناطقهم، أصبح العنف الطائفي سبباً رئيساً للنزوح، خصوصاً في بغداد. وتقدر مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين أن العنف الطائفي أدى إلى نزوح ما لا يقل عن (سبعمائة وثلاثين ألف) شخص بعد الهجمات على مزاري (الأماميين) العسكريين في سامراء بين شباط (فبراير) ٢٠٠٦ وأذار (مارس) ٢٠٠٧[٣٧].

ويعد العراقيون مهددين بسبب انتمائهم الديني أو معتقدهم، وقد هاجمت الميليشيات الطائفية والمجموعات المسلحة الجوامع والأسواق والقرى (المعادية). كما يزداد استهداف الأحياء المختلطة بشكل كبير. ويظهر ترتيباً على ما سبق أن الأقليات هي الأكثر تعرضاً للخطر. وتفيد التقارير أن الاضطهاد الديني أدى إلى نزوح المسيحيين، والتركمان، والسريان، والصابئة المندائيين، وآخرين. ويعتبر الصابئة المندائيون أقلية قديمة جداً، تقلص عددها من (ثلاثة عشر ألف وخمسمائة) شخص في عام ٢٠٠١ إلى نحو (أربعة آلاف) شخص فقط في عام ٢٠٠٦.[٣٨] وغادر البلاد نصف السريان الذين كان يبلغ عددهم (مليون ونصف المليون) شخص في العراق قبل عام ٢٠٠٣. ونزح النصف الباقي إلى (مناطق أكثر أماناً) في زاخو وشمال نينوى .[٣٩]

هناك العديد من المسيحيين كانوا قد غادروا إلى سوريا والآردن، والتجأ قسم كبير إلى المناطق الكردية في العراق.[٤٠] أما اللاجئون الفلسطينيون في العراق فقد واجهوا ظروفاً صعبة جداً، وهم يتعرضون للتهديد والهجمات باستمرار. وقد أعلنت مصادر إعلامية فلسطينية في بداية عام ٢٠٠٧ أنه حصل أكثر من (٦٥٥) هجوماً ضد الفلسطينيين. وقتل ما لا يقل عن (١٨٦) شخصاً [٤١] منهم. ويعيش الفلسطينيون المقيمون في بغداد في حالة خوف وتهديد دائم على حياتهم، وقد عبّروا مراراً عن رغبتهم بالمغادرة في أسرع وقت ممكن.[٤٢]لكن لا يستطيع كثير منهم مغادرة العراق لأنهم لا يملكون وثائق سفر[٤٣].

ولا يخفى هنا دور العامل السياسي (السلبي) على علاقات فئات التنوع، التي تتحمل عبء الانشقاق القومي والمذهبي، والتي قد تتناقض أمثلتها. ويجب التأكيد هنا على أن الظاهرة الاجتماعية عموماً تعد من الظواهر التي قد يتباين رصدها باختلاف الزمان

---

[٣٦] UNHCR. " Iraq Displacement."(3 November 2006).

[٣٧] UNHCR," Press Briefing by UNHCR Spokesperson Ron Redmond." (20 March 2007)

[٣٨]UNAMI, " Human Rights Report." P.13

[٣٩]UN Assistance Mission for Iraq (UNAMI)," Human Rights Report." November –December 2006). P.13

[٤٠]UNAMI. " Human Rights Report." (September – October 2006) .

[٤١]UNHCR. " Iraq UNHCR Deeply Disturbed By Security Forces Raid in Palestinian Area." (16 March 2007)

[٤٢]UNHCR, " UNHCR Appeals to Countries to Provide Humanitarian Soutine for Palestinians Flexing Iraq" (14 December 2006)

[٤٣]UNAMI, " Human Rights Report." (September – October 2006). P.14

والمكان، وباختلاف المتغيرات التي تطرأ عليها وتؤثر فيها، ومن أهمها العامل السياسي، لذا قد نجد تعبيرات تعصبية وصراعية بين الفئات تأخذ شكلاً اجتماعياً سياسياً، تعبر عنه الطائفية السياسية في الجانب المذهبي، أو قومياً شوفينياً وانكماشياً (انعزاليا) في الجانب العرقي بتأثيرات سياسية: بعضها خارجي، كما في الصراع العثماني – الفارسي الذي كان ساحته العراق، أو من خلال دور الاحتلال البريطاني للعراق، أو بتأثيرات سياسية داخلية: كما في صراع السلطة مع المعارضة. وهو ما يتطلب بحث ودراسة اتجاهات الانشقاق الطائفي والقومي، ودور العامل السياسي، والسلطة تحديداً، في إثارتها[٤٤].

ونتيجة لذلك فإن الصراعات الداخلية تسببت في استهداف الكوادر الصحفية في العراق حيث يبدو أن هناك وجه آخر للعمل الصحفي في العراق: تمثل في التهديدات والتحديات التي واجهها العاملون في هذا الميدان، مما جعل ممارسة العمل الصحفي في العراق من أخطر الأعمال على حياة العاملين في عالم اليوم. إذ لم يشهد العالم بأسره (على الرغم من كل الحروب والكوارث التي عصفت بالعديد من الدول) ما شهده العراق من استهداف للصحفيين، وتمثل ذلك تارة بالاغتيالات التي تتم بسرعة وعن بعد, وتارة أخرى بالقتل الوحشي الذي ينفذ بعد نصب الكمائن وخطف الضحايا تحت تهديد السلاح. ومما يزيد من فرص الخطورة وتعقيد العمل الصحفي في العراق أيضاً، ما يتعرض اليه العاملون في الصحافة من ملاحقة واعتقالات ومقاضاة بدعاوى كيدية وعلى نحو متواتر يثير القلق. الأمر الذي أخذ ينعكس سلباً بالتأكيد على حرية الرأي والتعبير وعلى انسيابية حركة الإعلام والصحافة وبما يجعل حرية الصحافة في العراق تمضي صوب منزلق خطير[٤٥].

الخاتمة:

ما يزال العراق على مدار سنوات الفوضى والحرب منذ عام ٢٠٠٣ يتصدر مؤشرات الإفلات من العقاب وفقا للجنة حماية الصحفيين الدولية، وقد تعرض الصحفيون والعاملون معهم لهجمات متتالية منذ الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، حيث قتل ٢٦١ صحفيا عراقيا وأجنبيا من العاملين في المجال الإعلامي، منهم ١٤٧ صحفياً قتلوا بسبب عملهم الصحفي، وكذلك ٥٢ فنيا ومساعدا إعلاميا، فيما لف الغموض العمليات الإجرامية الأخرى التي استهدفت بطريقة غير مباشرة صحفيين وفنيين لم يأت استهدافهم بسبب العمل الصحفي، وأختطف ٦٤ صحفياً ومساعداً إعلامياً قتل اغلبهم ومازال ١٤ منهم في عداد المفقودين. حسب إحصائيات مرصد الحريات الصحفية. غير إن جميع هذه الجرائم لم يُكشف عن مرتكبيها، ويتجاوز تصنيفها بكثير أي بلد آخر في العالم. وشهدت هذه الفترة مقتل صحفيين عراقيين في هجمات مختلفة.

نتائج البحث:

بعد دراسة "استهداف الكوادر الصحفية والأعلامية في العراق ٢٠٠٣-٢٠١٢، فقد توصلت إلى عدة نتائج منها:

أولاً: بعد الاحتلالالأمريكي للعراق، تحول الإعلام العراقي من إعلامتحكمه القوانين والضوابط إلى إعلام فوضوي مثل انعكاساً للفوضى السياسية التي شهدتها الساحة العراقية.

ثانياً: تميزت وسائل الإعلام العراقية بعد احتلالبتبعيتهاللجهات السياسية منها الدينية والعلمانية، وكانت في معظمها تفتقر إلى المهنية الإعلامية .

---

[٤٤] البكري، ياسين ،**علم اجتماع اتجاهات التجانس في علاقات التنوع في المجتمع العراقي**، مصدر سابق .

[٤٥] **التقرير السنوي للجمعية العراقية للدفاع عن حقوق الصحفيين بالتعاون مع برنامج دعم الإعلام العراقي المستقل** (داعم) عن انتهاكات حرية الصحافة والتعبير في العراق لعام ٢٠٠٧.

ثالثاً: لقد أصدرت سلطات الاحتلال جملة من القرارات والتعليمات قيدت حرية الإعلام في العراق ببعض القيود التي تهدف إلى تعزيز السيطرة على العراق .

رابعاً: تعرض الصحفيون في العراق بعد الاحتلال إلى تصفيات جسدية أودت بحياة المئات منهم، في سابقة لم يشهدها العراق على مر التاريخ .

خامساً: شهدت وسائل الإعلام العراقية تطورا كبيرا في ظهور عشرات المحطات والقنوات الإعلامية الفضائيةبعد احتلال العراق بعد أن كانت تلك الوسائل تعد على أصابع اليد .

سادساً: أصبحت ملكية وسائل الإعلام العراقية ملكية خاصة بعد أن كانت ملكيتهاحكرا على الحكومات المتعاقبة التي حكمت العراق ابان القرن العشرين.

سابعاً: لقد اصبح المشهد الإعلامي في العراق مرآة للسياسة الطائفية، وقد أوصل البلاد الى توسيع فجوة الانقسام الطائفي، وأن هذا الانقسام كان يقود البلاد الى العنف المدمر بين أعوام ٢٠٠٣ – ٢٠١٢.

المصادرو المراجع:

١.أحمد، كمال مظهر، **تاريخ التركمان –العلاقات الاجتماعية بين الفئات العراقية–**، منشورات الدار التركمانية، كركوك، ط٢، ٢٠٠٦، ص٧٧.

٢.الأنصاري، محمد جابر وآخرون، **التنوع الاجتماعي في العراق**، دار المأمون، ط٢، بغداد، ٢٠٠٧م ،

٣.البكري، ياسين ،**علم اجتماع اتجاهات التجانس في علاقات التنوع في المجتمع العراقي**، مقطع من دراسة موسعة بعنوان: (بنية المجتمع العراقي، رسالة جامعية نال بها الطالب درجة الدكتوراه، بغداد، ٢٠٠٦م.

٤.**التقرير السنوي للجمعية العراقية للدفاع عن حقوق الصحفيين بالتعاون مع برنامج دعم الإعلام العراقي المستقل** (داعم) عن انتهاكات حرية الصحافة والتعبير في العراق لعام ٢٠٠٧.

٥.جميل، إسماء، وعبد الجبار، فالح، **الأحزاب السياسية في العراق ١**، معهد للدراسات الاستراتيجية، دار بايل للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١١، جيمس بول وسيلين ناحوري:**الحرب والاحتلال في العراق –تقرير للمنظمات غير الحكومية–**، مركز دراسات الوحدة العربية، اللجنة العربية لحقوق الإنسان، الطبعة الأولى، بيروت، أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٧،

٦.خصباك، شاكر، **العراق الشمالي**، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٩٤٩، ص١٤١–١٤٣.

٧.مادلين أولبرايت، **مذكرة إلى الرئيس المُنتَخَب –كيف يمكننا استعادة سمعة أميركا ودورها القيادي–**، مصدر سابق،

٨.ماليبارد، نواغير **الفرات او بين العرب والكرد**، ترجمة حسين كبة، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٧، ص٢٠٩.

٩.مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، **الدين والأثنية والتوجهات الأيديولوجية في العراق:** من الصراع إلى التكامل، ٨٤ سلسلة محاضرات الإمارات، ، دولة الإمارات العربية المتحدة–أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٢٧، الترقيم الدولي:–ISSN 1682–122X ISBN 9948 00–587–2

١٠. **مقابلة أجريت بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٥, أ. د إبراهيم خليل العلاف**، أستاذ متمرس بالتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الموصل

١١. **مقابلة أجريت بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٥، مع أ. د سلام زكم الزوبعي** عضو برلماني ونائب رئيس الوزراء سابقاً في الحكومة العراقية.

١٢. موقع خرائط العراق على شبكة الإنترنت: تاريخ الدخول/٢٠١٤/٥/٢٤ http://www.iraqmaps.com

١٣. ياسين، باقر، **تاريخ العنف الدموي في العراق**، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٩. وهو كتاب يقع في (٤٣٥) صفحة، ومقسم على عشرة فصول،

المراجع الأجنبية

1. "Iraq Fallujah Sectarian Improving Story" UN Integrated Regional Information Networks (21 March 2006
2. Internal Displacement Monitoring Center / Norwegian Refugee Council." Iraq Sectarian. Violence Military Operations Spark New Displacement, as Humanitarian Access Deteriorates." (23 May 2006)

3. UN Assistance Mission for Iraq (UNAMI)," Human Rights Report." November –December 2006
4. UNAmistance Mission for Iraq " Human Rights Report. " (September – October 2006).
5. UNHCR, " Iraq A Humanitarian Crises that will Go for Year." (2 February 2007)
6. UNHCR, " UNHCR Appeals to Countries to Provide Humanitarian Soutine for Palestinians Flexing Iraq"
7. United Nations, " Emergency Working Group – Falluja Crises." "Update Nation " (13 November 2004